

## أثر الفتن والحروب على المجتمع الأندلسي إبان الحكم الأموي (138-422 هـ / 755 - 1031 م)

أ. عبدالرزاق العماري القويضي

قسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم قصر الأخيار  
جامعة المرقب

### المقدمة:

أعطت الدولة الأموية لتاريخ الأندلس أعظم إرث حضاري ، تلك الدولة التي أسسها عبد الرحمن بن معاوية الملقب بالداخل عام 138 هـ / 755 م ، واستطاع عبد الرحمن وولده من بعده من بناء دولة جديدة تميزت الحياة فيها بالبرقي والتقدم في جميع جوانبها المختلفة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية ، غير أن ذلك الكيان لم يسلم من نغصات ونكسات تمثلت في فتن وحروب كانت بمثابة شوكة في جسد الدولة فأدى ذلك إلى إضعاف و إنحناك الدولة وظهرت معالم تلك الآثار على جميع مناحي الحياة في الأندلس وسوف يسلم هذا البحث الضوء على أثر الحروب والفتن على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

المبحث الأول : أثر الفتن والحروب على الحياة الاقتصادية

المبحث الثاني : أثر الفتن والحروب على الحياة الاجتماعية

المبحث الثالث: أثر الفتن والحروب على الحياة الثقافية

المبحث الأول: أثر الفتن والحروب على الحياة الاقتصادية:

تأثر النشاط الاقتصادي في الأندلس تأثراً شديداً بأحداث الفتن والحروب ، إذ تضررت موارد الدخل ، فقل الاهتمام بالفلاحة وانهارت الصناعة وركدت التجارة.

أولاً: الزراعة:

أثرت النزاعات والفتن على الفلاحة مصدر الدخل الأول لسكان الأندلس، إذ اغتصبت الأراضي وزورت عقود الملكية، وفقد صغار الملاك أراضيهم وتضخمت في المقابل ملكيات كبار الملاك ، كما أدت الفتن إلى إهمال الفلاحين لمزارعهم وخربت الأراضي التابعة للطرف المهزوم ومن ثم سارع أصحابها إلى الرحيل عنها، وقد تفنن حكام بني أمية في إضعاف خصومهم بكل الوسائل المتاحة لهم وكان من أبرز تلك الوسائل تدمير المزارع التابعة لهذه الثائر أو ذاك، وترددت إشارات المصادر إلى ذلك عدة مرات مثل: إفساد الغلات و الثمار ، أو إفساد الزرع وإحراق القرى أو تحطيم الأشجار

والزروع، أو الإحراق والتدمير والانتساف والتغيير ، أو إفساد الزرع وقطع الأشجار ، أو تمادي الهدم والقطع والإحراق والتدمير<sup>(1)</sup> ، وغير ذلك من العبارات الدالة عن الخراب والدمار . فقد اتبع الأمير هشام الأول سياسة الأرض المحروقة ، فحرب الكثير من المناطق الزراعية مثل كورة تاكرنا التي أمست خالية سبع سنين وطبق الأسلوب نفسه كل من الحكم الأول وعبد الرحمن الثاني حيث اتجها إلى إفساد الزروع ونسف المرافق والمعاش والى الإباداة<sup>(2)</sup> .

ففي عام 219 هـ / 834م ، جردت حكومة الأمانة جيشاً ضخماً إلى أهل طليطلة بعدما شقوا عصا الطاعة ، فأوقع بهم وأفسد زروعهم وقطع ثمارهم<sup>(3)</sup> . وفي سنة 260 هـ / 873م غزا المنذر بن الأمير محمد بن عبد الرحمن بالصائفة إلى سرقسطة فحطم معاشها وقطع ما قدر من أشجارها<sup>(4)</sup> .

وفي عهد الأمير عبد الله شمل الدمار عدة مناطق منها حصون عمر بن حفصون في رية وما حولها ، وتجلي الدمار في إفساد الزروع وانتساف الغلال والثمار وتدمير القرى<sup>(5)</sup> ، وبلغت سياسة القوة أوجهها في عهد الأمير عبد الرحمن الناصر الذي حرص منذ توليه الحكم على القضاء على خصومه بمهاجمتهم وقت الحصاد لقطع كرومهم وانتساف زروعهم<sup>(6)</sup> ، وطبيعي أن يجد التدهور طريقه إلى الإنتاج الحيواني لارتباطه الوثيق بالزراعة من جراء الحروب والفتن المستمرة ، وأثناء الفتنة القرطبية تأثرت الزراعة تأثيراً بالغاً، فما أن نشب الصراع بين الأندلسيين والبربر حتى هجر الفلاحون مزارعهم ، ولحق معظمهم بقرطبة خوفاً من أذى البربر فمات الكثير منهم جوعاً أو قتلوا بخارجها<sup>(7)</sup>، بينما نهب البربر القرى ونزلوا على كل زرع حول قرطبة يحدون ويأكلون<sup>(8)</sup>، وعندما هدأت الأوضاع نسبياً لم تجد الأراضي من يزرعها بسبب هجرة مزارعي قرطبة مما أدى إلى اضمحلال معظم القرى . ويؤكد ابن غالب على ذلك بقوله: “وبالفتنة الكائنة على رأس الأربعمئة سنة من الهجرة محيت رسوم تلك القرى”<sup>(9)</sup>. وكانت الثروة الحيوانية في قرطبة هي الأخرى تأثرت بالفتنة إذ نفقت بعض مواشيتها عند فرار أهل البوادي من قراهم ولحاقهم بقرطبة<sup>(10)</sup>.

1 ابن حيان: المقتبس في تاريخ الأندلس، تح، إسماعيل العربي دار الأفاق الجديدة ، المغرب ، 1990 ، ص76، 131، 134 ، 162، 163،  
2 ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، مج 6 ، ط 6 دار صادر ، بيروت ، 1995 ، ص144 ، 202 ، ابن عذاري ، البيان المغرب في أخبار الأندلس المغرب ، ج 2 تح ، ج س كولان ليفي بروفنسال ط3 ، دار الثقافة بيروت ، 1983، ص75، 84، 63، 64،  
3 ابن عذاري ، مصدر سابق ، ج 2، ص84  
4 العذري ، ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ، تح : عبد العزيز الأهواني ... ، ص35.  
5 ابن حيان ، مصدر سابق ، تح ، إسماعيل العربي ، ص76 ، 130 .  
6 ابن حيان ، المقتبس ج 5 ، نشره: ب شالميتا بتعاون لضبطه وتحقيقه مع ف كورينطي، م .صبح وغيرهما ، المعهد الإسباني العربي للثقافة ، مدريد ، كلية الآداب ، الرباط، 1979، ص148  
7 ابن عذاري، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 102  
8 المصدر نفسه... ، ج 3 ، ص 107، 106  
9 ابن غالب ، نص أندلسي جديد من كتاب فرحة الانفس ، تح :لطفي عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج 1 ، مطبعة القاهرة ، 1955 ص306  
10 ابن عذاري، المصدر نفسه ... ، ج 3 ، ص 102

### ثانياً: الصناعة:

كان لانعدام الاستقرار السياسي واختلال الأمن الداخلي الناتج عن الحروب والثورات في الأندلس دوراً كبيراً في الخسارة التي لحقت بالصناعة بسبب موت عدد كبير من الأيدي العاملة المهرة كما حصل في ثورة الربض زد على ذلك هجرة عدد كبير منهم إلى خارج الأندلس.

وأدت مشاركة الصناع والحرفيون في إخماد الثورات إلى انصرافهم عن أعمالهم الأساسية فتعطلت الصناعة ، ويؤكد ابن حيان على وجود أصحاب الحرف في الجيش الذي أرسله الأمير عبد الله بن محمد للقضاء على بعض الثورات في شذونة وفي غيرها من الأماكن ، وأنهم كانوا في مؤخرة الجيش بالقرب من مخازن الذخيرة وأماكن حبس الأسرى وربما راجع ذلك لكون الصناع أن مهمتهم الأساسية هي الإشراف على الأسلحة والنظر في مدى صلاحيتها للاستعمال ، ويشير ابن حيان إلى ذلك بقوله : "وكان في حبس العسكر رجال من أسرى أهل شذونة كانوا في العمود عند صاحب الصناعة بالعسكر .." (1).

ومن العوامل المؤثرة سلباً على الصناعة العبث من قبل بعض الثوار بالمواد الخام اللازمة للصناعة فكثيراً منهم سكوا العملة وكتبوا أسمائهم عليها وذلك لإضفاء صفة الاستقلال السياسي مثلما فعل ديسم بن إسحاق عندما ضرب الدراهم باسمه (2).

كما تأثرت معظم الصناعات المعدنية بعدما تعطل استخراج المعادن المستخدمة في هذه الصناعة من مناجمها ، كمعدني الذهب والفضة المتوفران بالمرج القريب من حصن المدور التابع لقرطبة، وكان هذان المعدنان يستخدمان في إصدار المسكوكات وصناعة التحف المعدنية، كذلك تأثرت الصناعات الغذائية والزراعية إذ لم يتمكن حكام قرطبة ، من الحفاظ على مصادر المواد الخام اللازمة لهذه الصناعات ، مثل الزيتون الذي كان يستخرج منه الزيت ، والأزهار المستخدمة في الزيوت العطرية ، وصناعة عسل النحل ، والكروم المستخدم في صناعة تحفيف العنب<sup>3</sup>. والصناعات التقليدية هي الأخرى تأثرت بالحروب خاصة صناعة الفخار عندما فقدت حكومة قرطبة السيطرة على جبل قرطبة والذي يحتوي على التربة الخاصة بصناعة الفخار .

### ثالثاً : التجارة:

اعتمدت التجارة بين مختلف مدن الأندلس على شبكة ضخمة من الطرق الداخلية ، غير أن الفتن والحروب التي أصابت الأندلس قد أثرت على حركة التجارة وأدت إلى انتشار اللصوص وقطاع الطرق والتربص بالقوافل والإغارة عليها ، فقد امتدت أيدي عمر بن حفصون إلى "أهل الأموال فلم يدع مالاً قدر عليه عند من ظن به وسارع في الغارات

<sup>1</sup> ابن حيان ، مصدر سابق ، تح إسماعيل العربي ، ص 136 .

<sup>2</sup> العذري ، مصدر سابق ، ص 12 .

<sup>3</sup> ابن غالب ، نص أندلسي ، ص 296 ؛ خلاف ( محمد عبد الوهاب) ، قرطبة الإسلامية القرن الحادي عشر الميلادي - الخامس الهجري ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، دار التونسية للنشر ، 1984 ، ص 161، 162.

وقطع السبل فعمت معرفته كورة رية والكور المجاورة لها ، وأضرب البلاد سعيراً<sup>(1)</sup> أما أهالي حصن منت روي - وكانوا من عجم الذمة - وكان يتوسط ما بين كورتي البيرة وحيان ويقع على قارعة طريق بجانة "فكان من سلك ذلك الطريق من صادر ووراد لا يسلم من عادية أهل ذلك الحصن، وكانوا يخيفون السبيل ويسفكون الدماء ويسلبون الأموال"<sup>(2)</sup>.

وامتدت آثار حركة قطع الطرق على المدى البعيد لتساهم في انخراط بعض المدن حيث أن الأخطار التي تهدد تلك الطرق قد أرغمت الكثير من السالكين على هذه الطرق إلى هجرها والبحث على طرق أكثر أمناً، فترتب على ذلك تدهور المدن الواقعة على الطرق القديمة ، وهذا هو التعليل في الخراب الذي حل بمدينة ماردة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن<sup>(3)</sup>.

وكان لغارات الممالك المسيحية على بعض المدن في شمال وغرب الأندلس دورا في ركود التجارة بما مثلما حصل عام 301 هـ / 913م عندما هاجم أردينو الثاني ملك ليون مدينتي يابرة وسرقسطة .

كما ساد الغش في المعاملات التجارية مع تدهور الحالة الأمنية، فاختلط الحلال بالحرام مما جعل بعض الفقهاء من أمثال الفقيه ابن لبابة عام 314هـ/926م إلى المناداة بتجنب تلك الأسواق التي كان الغالب فيها الحرام<sup>(4)</sup>.

أما التجارة الخارجية فهي الأخرى لم تسلم من تلك الفتن والنزاعات، وأدى ذلك إلى فقدان قرطبة السيطرة على طرق التجارة ومنافذها البحرية فتضاءلت حركة الصادرات والواردات إليها، في حين أن بعض المدن المستقلة خاصة منها الساحلية احتكرت المبادلات التجارية، فانتعشت اقتصادياً على حساب الحكومة المركزية مثلما حدث في مدينة بجانة<sup>(5)</sup> وكذلك احتوت ببشتر" على كل فائدة، ومنعت من سواها كل عائدة، إلا النبد اليسيرة واللقى الحقيرة"<sup>(6)</sup>، حيث سيطر عمر بن حفصون وأنصاره على الموانئ الجنوبية والشرقية وكانت لهم عدد من المراكب البحرية يسفرونها إلى أرض العدوة في المير والتجارات ويقضون بها الحاجات فيتسعون أعظم التوسعة<sup>(7)</sup>، كذلك استحوذت إشبيلية على تجارة غرب الأندلس الأمر الذي دفع بحكومة قرطبة إلى إقرار الصلح مع حاكم إشبيلية فتحسنت أحوال قرطبة ويؤكد ابن حيان بقوله: "فصلحت أحوال قرطبة بانفتاح طريق إشبيلية وموالاة صاحبها وصارت سبباً لانفتاح باب غربي الأندلس ودور المعاش منه بقرطبة"<sup>(8)</sup>.

وأثناء الفتنة القرطبية تأثر النشاط التجاري ، حيث توقفت التجارة حيث خاف التجار على أرواحهم وتجارهم عند سلوكهم للطرق التجارية فارتفعت الأسعار بشكل كبير في بعض المدن ، وزاد من تأزم الأوضاع ، فثقلت الضرائب

1 ابن حيان ، المصدر نفسه ... ، تح ، إسماعيل العربي ، ص 73 .  
2 ابن حيان، المصدر السابق، نشره ، شالميتا، ص179-180  
3 البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا ، من كتاب المسالك والممالك ، ط1 ، تح عبد الرحمن الحجي، دار الرشد ، بيروت 1968، ص55.  
4 الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب ج6، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981، ص187.  
5 بوتشيش (إبراهيم)، أزمة التجارة في الأندلس في أواخر عصر الإمارة، مجلة المناهل، السنة12، ع32، 1985، ص241.  
6 ابن حيان، مصدر سابق، نشره، شالميتا، ص228.  
7 ابن حيان، المصدر نفسه، ص87.  
8 ابن حيان ، مصدر سابق، تح ، إسماعيل العربي ، ص 154 .

المفروضة ، وتزايد أنواعها واستعملت الشدة في جبايتها ، حتى فرضت على رؤوس الناس من المسلمين كجزية اليهود والنصارى ، وفرضت على كل ما يباع في الأسواق مما جعل الكثيرون يعجزون عن دفعها وكان ذلك أحد الدوافع لاسترقاق الناس وتسخيرهم<sup>(1)</sup>.

### المبحث الثاني : أثر الفتن و الحروب على الحياة الاجتماعية:

كان المجتمع الأندلسي متنوع الأعراق والأجناس، ومتنافس الانتماءات سياسيا واجتماعيا، وكان يحمل في أعماقه بذرة الخلاف والانشقاق منذ بداية تكونه، فهو مجتمع مركب من عناصر متعددة: عربية وبربرية وصقلبية وقوطية، بالإضافة إلى سكان البلاد الأصليين، وكان لكل عنصر من هذه العناصر لهجته الخاصة به، وعاداته، وسكنه، حيث سكن العرب في قرطبة وما حولها، أما المولدون فسكنوا أشبيلية وطليطلة، في حين سكن البربر غرناطة وقرمونة ومالقة، فجميع هذه العناصر جمعتها أرض واحدة، وفرقت بينها غايات وأهداف مختلفة وبالتالي نتجت الصراعات والحروب بينهم .

وقد نتج عن هذه الصراعات ظاهرة الهجرة الداخلية والخارجية، فعلى صعيد الهجرة الداخلية هاجر العديد من السكان إلى المناطق الأكثر أمناً الأمر الذي نتج عنه تناقص في أعداد السكان في بعض المدن وكثرتها في مدن أخرى بل إن مدناً خلت من السكان كما تشير بعض المصادر ، فعندما خرج المطرف بن الأمير عبدالله بحملة عسكرية نحو جنوب الأندلس ، عام 281 هـ / 894م ، تحرك في كورة البيرة " إلى أن حل بمدينة سجيلة فألفاها خالية"<sup>(2)</sup> وكذلك بطليوس لها "ربض كبير أكبر من المدينة في شريقها فخلا بالفتن"<sup>(3)</sup>.

أما عن صعيد الهجرة الخارجية قد هاجرت أعداد كبيرة إلى خارج الأندلس ، ففي عهد الخليفة الحكم بن هشام تم طرد سكان الربض الجنوبي بقرطبة ، فهاجر سبعة آلاف إلى فاس ، وركب منهم نحو خمسة عشر ألف رجل البحر ونزلوا الإسكندرية<sup>(4)</sup> وعندما تعرضت الأندلس للمجاعات عام 197هـ/812م "هاجر منهم الكثير فمنهم من نزل إلى أرض العدو"<sup>(5)</sup> فإذا كانت تلك المجاعة قد غشيت الأندلس بسبب تدهور الأوضاع الاقتصادية الناتجة عن كثرة النزاعات والحروب فإن هجرة السكان الأندلسيين إلى المغرب الأقصى كانت أحد الآثار غير المباشرة التي انعكست عن الأندلس بسبب كثرة الفتن بها

ومن الآثار الناتجة عن كثرة الفتن في الأندلس ، وقوع الأسرى بين المتنازعين فكثيراً ما كانت الحروب تسفر عن عدد من الأسرى يقتادهم الطرف المنتصر<sup>6</sup>، كما حدثت حالات سبي لبعض الأهالي ، فعمر بن حفصون مثلاً غدر بأهل

<sup>1</sup> ابن حزم ، رسائل ابن حزم الأندلسي ، ج3 ، تح ، إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت ، ط 1 ، 1981 ، ص 175 - 177 .

<sup>2</sup> ابن حيان، مصدر سابق،تح،اسماعيل العربي ، ص 132

<sup>3</sup> الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، دار عالم الكتاب ، بيروت ، 1989 ، ص545 .

<sup>4</sup> مجهول ،ذكر بلاد الأندلس ،تح، تر : لويس مولينا ، نشر المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، مدريد ، 1983 ،ص133، العبادي (أحمد) ، بعض مظاهر العلاقات التاريخية بين مصر و الأندلس ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية مج23 ، مدريد ، 1985 ، 1986 ، ص99.

<sup>5</sup> ابن حيان، المصدر السابق ، ص168

<sup>6</sup> ان حيان ، المصدر نفسه ، ص 126 ، 136 ، 143 ، العذري ، مصدر سابق، ص37،65

بيانة التابعة لقرطبة عام 276 هـ / 889م ، "فقتل جماعة منهم وأصاب أموالهم وسبى ذراريهم"<sup>(1)</sup> ، وقد أدى السبي والأسر إلى استعباد الأحرار وجعلهم مملوك يباعون ويشترتون حيث كثر بيع الأحرار في فتنه ابن حفصون ، وفصل الفقهاء في هذه القضية بأن يكلف " السيد إقامة البينة على صحة ابتياعه ، وأن المملوك كان ملكاً لبائعه"<sup>(2)</sup> ، وبعبارة أخرى " يحمل بينة على كل من ادعى ابتياع في مملوك أو آمة في موضع الفتنة وحيث لا يتسلط الحق"<sup>(3)</sup> ، وواكب عملية استرقاق الأحرار زيادة السخرة عندما لجأ الأقوياء إلى تسخير ضعفاء الناس في شتى الأعمال الزراعية وغيرها<sup>(4)</sup>.

ونج عن الحروب والفتن في الأندلس أن تغيرت البنية السكانية بموت أعداداً كثيرة من السكان ففي ثورة العلاء بن مغيث اليحصبي قتل الأخير وهلك معه سبعة آلاف من أتباعه ، وكذلك المذبحة الجماعية لأهالي طليطلة (وقعة الحفرة) راح ضحيتها الكثير من سكان طليطلة وزعمائهم . كما تعرض أهل الریض الجنوبي بقرطبة لمذابح في وقعة الریض عام 202 هـ / 817م ، وتم طرد باقي السكان خارج الأندلس ، كذلك قضى المولدون في سرقسطة على كثير من العرب فيذكر أن لب بن موسى القسوى أنه قتل عرب سرقسطة من قبائل شتى وبالمقابل فإن العرب فعلوا الشيء نفسه بالمولدين والنصارى في بعض المدن ، ففي إشبيلية حمل العرب السيف على المولدين " بداخل المدينة وأحوازاها .... ففتيت المولدة بإشبيلية إلا قليلاً"<sup>(5)</sup> ، كذلك حدثت في البيرة حروب بين العرب والمولدين هلك فيها خلق عظيم من كلا الجانبين . وعمل البربر على القضاء على قرى بأكملها مثل الذي حصل في قرية طليطلة من كورة اشبيلية ، عندما هاجمها البربر في عهد الأمير عبد الله فقتلوا كل من وجدوه بها ثم شنوا الغارات على كل مناحي إشبيلية ثم ما لبثوا أن رحلوا عنها بعد أن أفقدوا خلقاً من أهلها<sup>(6)</sup>.

وقد وصف ابن عذارى أوضاع الأندلس في أواخر عصر الأمانة حيث قال : " فصار أهل الإسلام بين قتيل ومجرب ومحصور ، يعيش مجهداً ، ويموت هزلاً ، قد انقطع الحرث وكاد ينقطع النسل"<sup>(7)</sup> ، و الأسوء من ذلك ما حدث في الفتنة التي وقعت مع بداية القرن الخامس الهجري م الحادي عشر الميلادي ، عندما هدد البربر سكان قرطبة فخافهم الناس وهرب كثيراً منهم وأسلموا ديارهم وأموالهم واستولى البربر عليها ، وقد تأثرت سائر مناطق الأندلس بهذه الفتن فوصلت إلى طليطلة ومدينة سالم فبلغت خيل البربر أقطارها وما وراءها حتى إن الراكب بمشي شهوراً لا يرى أحد في طريق ولا في قرية ، وعاثوا في أرياف مالقة وقتلوا من أهلها كثيراً ، ثم زحفوا على نواحي البيرة فخرّبوا القرى ونهبوا الأموال ثم وصلوا إلى قرى الجزيرة الخضراء فأطلقوا أيديهم في دورها وقتلوا من قابلوه وهدموا الديار وسلبوا الأموال وخرّبوا القرى ،

1 ابن حيان المصدر نفسه ، ص114.

2 ابن سهل ، الإعلام بنوازل الأحكام ، تح : نورة التويجري .د. م ، 1995 ، ص189 .

3 المصدر نفسه ، ص 188 .

4 العذري ، المصدر السابق ، ص59،58.

5 ابن حيان ، مصدر سابق ، ص107 .

6 ابن حيان ، المصدر السابق ، ص93.

7 ابن عذارى ، مصدر سابق، ج 2 ، ص121 .

وفعلوا ببيان مثل ذلك<sup>(1)</sup>، وهجر أهل اليرة مدينتهم خوفاً ، ولم تزل الأيام تخيف ساكنها والعفاء يتبوا ساكنها والفتن تجوس أماكنها حتى شملها الخراب<sup>(2)</sup> .

كما تأثرت مراسم الدفن زمن الفتنة القرطبية ، فكثيراً من الموتى كانوا يلقون بدون دفن عدة أيام ، ثم يدفنون بدون غسل ولا كفن ولا صلاة عليهم وذلك بسبب انشغال ذويهم بالمعارك وتوقعهم غارات البربر عليهم وما قد يصيبهم على أيديهم من مذابح وحشية<sup>(3)</sup>.

كذلك تأثر سكان قرطبة في أداء الصلوات المفروضة ، فقد أصابهم نوع من الخوف من البربر ، فاستفتوا مشائخ المالكية أن يقدموا صلاة العشاء عن موعدها خوفاً من القتل ، حيث أن متلصصة البربر كانوا يترصدونهم في الظلام في الطرق المتفرعة من ساحة المسجد بقصد الاعتداء عليهم<sup>(4)</sup>.

أما صلاة العيدين فكان أهل قرطبة يصلونها في المصلى خارج قرطبة ، وعندما اشتد الصراع بينهم وبين البربر المحاصرين لقرطبة أصبحوا يؤذونها داخل بيت صلاة الجامع ، وذلك تحسباً لأي اعتداء عليهم<sup>(5)</sup> ، كما كان للفتنة أثر مباشر في تكوين الأسرة ، ففي ظل الصراع العنيف الذي شهده الأندلس ، عرف الشباب عن الزواج وإنجاب الأطفال ، خشية أن تتكلمهم زوجاتهم وأولادهم ، ، غير أنهم كانوا يقبلون على الزواج في الأوقات التي يسودها الأمن ، وإن كان أكثرهم يقول بالعزلة<sup>(6)</sup>.

### المبحث الثالث : أثر الفتن والحروب على الحياة الثقافية:

أثرت الحروب والفتن الداخلية التي أنهكت قوى الأندلس في أواخر عصر الأماة تأثيراً سلبياً على الحياة الثقافية ، فقد أجبرت العديد من الفقهاء والعلماء على الارتحال من مدينة لأخرى بحثاً عن الأمن و الأمان<sup>(7)</sup> ، ففي أثناء ثورة الريض هاجر الكثير من الفقهاء قرطبة من أمثال عيسى بن دينار ومحيي الليثي ، كما قتل ومثل على عدد آخر من الفقهاء أمثال يحيى بن مضر القيسي وأبو كعب بن عبد البر وغيرهم<sup>(8)</sup> كما خرج عدد من العلماء إلى خارج قرطبة حيث انتقل محمد بن مسلمة الصدي من تطيلة إلى قلعة أيوب<sup>(9)</sup> ، ورحل إسحاق بن إبراهيم بن عيسى المرادي من مدينة استجة إلى

1 ابن عذارى ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 115، 104 ، 102 .  
2 ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج 1 ، تح: عنان ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1977 . ص 92 – 93 .  
3 ابن الأبار ( محمد بن عبد الله ) ، التكملة لكتاب الصلوة ، ج 2 ، تح: عبد السلام الهراس دار الفكر للطباعة ، بيروت 1995م ، ص 238  
4 ابن حزم (أبي محمد علي بن أحمد) ، الأحكام في أصول الأحكام ، تقديم إحسان عباس ، مج 1 ، ج 3 ، ط 1 ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت 1980 ، ص 67 ، عباس (إحسان) ، تاريخ الأدب الأندلسي ((عصر سيادة قرطبة)) ، ط 3 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1973 ، ص 137.  
5 ابن عذارى ، مصدر سابق ، ج 3 ، ص 107.  
6 ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق 1 ، مج 1 ، ط 1 ، تح: إحسان عباس دار العربية للكتاب ، تونس ، ليبيا ، 1979 ، ص 89.  
7 مطلق (البيبر) ، الحركة اللغوية في الأندلس من الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف ، بيروت ، 1967 ، ص 257.  
8 ابن حيان القرطبي: السفر الثاني من كتاب المقتبس: تح محمود مكى ، مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ، 2003 ، ص 161.  
9 ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ، ق 2 ، دار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، 1966 ، ص 12.

قرطبة زمن الفتنة وبها مات وهاجر تميم بن علاء بن عاصم التميمي من مدينة استجة إلى شذونة وتوفي بيها وعبد الله بن هذيل الكناني من أهل جيان سكن قرطبة زمن الفتنة وبها مات<sup>(1)</sup>.

وتأثرت الحياة الثقافية في الأندلس تأثر شديد بأحداث الفتنة القرطبية بين عامي 399 – 422 هـ / 1008 – 1031 م فقد قُتل العديد من العلماء والأدباء ، وأثر بعضهم الهجرة حيث الأمان والسكينة ، بينما بقي آخرون في ظل الخوف والترقب<sup>(2)</sup>.

ومن بين العلماء والأدباء الذين قتلوا عام 400 هـ / 1009 م أبا عمر أحمد بن بريل المقرئ ، وأبا ربيع بن الغماز سليمان بن هشام<sup>(3)</sup> ، ومحمد بن عبد السلام النحوي المعروف بالتدميري<sup>(4)</sup> ، والشاعر الأديب أبا الحسن علي بن وداعة السلمي البلكوني<sup>(5)</sup>، وفي عام 401 هـ / 1010 م قتل اثنان من مشاهير العلم والأدب وهما أحمد بن محمد بن وسيم<sup>(6)</sup> ومحمد بن تمام ومن بين العلماء والأدباء الذين لقو حتفهم في عام 403 هـ / 1012 م أبا عمر أحمد بن محمد بن مسعود ، وأبا القاسم خلف بن سلمة بن سليمان وسعيد بن المنذر بن سعيد ، وعبد الله بن محمد بن يوسف بن الفرضي صاحب كتاب تاريخ علماء النفس ، ومحمد بن سعيد بن السري الأموي<sup>(7)</sup> ، ورحل العديد من العلماء والأدباء من دائرة الصراع أمثال العالم ابن الفخار الذي انتقل إلى بلنسية وبقي بها حتى وفاته 419 هـ / 1028 م<sup>(8)</sup>، وهاجر خلف مولى جعفر الفتي المعروف بابن الجعفري إلى طرطوشة وتوفي بها عام 425 هـ / 1033 م ورحل سعيد بن إدريس بن يحيى إلى إشبيلية واستقر بها حتى وفاته عام 249 هـ / 1037 م<sup>(9)</sup> ، وتنقل الفقيه هشام بن غالب الغافقي بين غرناطة وإشبيلية حتى توفي في إشبيلية عام 438 هـ / 1046 م<sup>(10)</sup>، كما رحل عن قرطبة عددا من أولى العلوم الصرفة، كعلم العدد والطب والهندسة، أمثال الطبيب أبي عبد الله بن الحسين المعروف بابن الكتاني الذي رحل إلى سرقسطة<sup>(11)</sup> و حيث توفي عام 420 هـ / 1029 م، وأحمد بن عبد الله المعروف بابن الصفار العالم بالهندسة والنجوم رحل إلى مدينة دانية وتوفي بها عام 426 هـ / 1034 م<sup>(12)</sup>، كما أن بعض العلماء تركوا الأندلس كلها فخرج أحمد بن محمد القيسي من إشبيلية إلى مصر

1 ابن الفرضي ، المصدر نفسه ، ق 1 ، ص 226، 225، 71.99.  
2 الدباغ ( عبد الوهاب ) ، أثر الفتنة في الحركة العلمية في قرطبة 399-422 هـ / 1009-1031 م ، مجلة آفاق الثقافة والتراث . السنة السابعة ، ع 25 ، 26 ، دبي ، يوليو ، 1999 ، ص 103.  
3 ابن بشكوال (أبو القاسم خلف ) ، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائها ومحدثيهم و فقهاءهم ق 1 ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، 1966 ، ص 20 ، 194 ، 195 .  
4 القفطي ( علي بن يوسف ) ، انباه الرواة على أنباه النحات ، ج 3 ، تح ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، القاهرة ، بيروت ، 1986 ، ص 168 .  
5 ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب، ج 1 ، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، دت، ص 223.  
6 ابن بشكوال ، الصلة ... ، ق 1 ، ص 25 .  
7 ابن بشكوال ، الصلة... ، ق 2 ، ص 489 – 490 .  
8 القاضي عياض ( أبو الفضل عياض بن موسى ) ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة الإمام مالك ، تح ، أحمد بكير محمود ، ج 2 ، دار مكتبة الحياة بيروت ، دت ، ص 725 .  
9 ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ق 1 ، ص 220 .  
10 ابن بشكوال ، المصدر السابق، ق 2، ص 652 .  
11 صاعد الأندلسي ( أبو القاسم بن عبد الرحمن ) ، طبقات الأمم، تح، حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1998، ص 108، ابن أبي أصيبعة (موفق الدين أبي القاسم)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج 3، دار الثقافة، بيروت، دت، ص 73.  
12 ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص 93، 94 .



وتصدر الإفتاء بها وتوفي عام 407هـ/1016م<sup>(1)</sup>، وأراد خلف بن علي الزاهد الذهاب إلى مكة فتوفي في البيرة عام 400هـ/1009م، ورحل عبد الرحمن بن محمد بن أبي يزيد إلى مصر وفيها توفي عام 410هـ/1019م، ومثله عبد العزيز بن أحمد بن السيد القيسي الذي استوطن مصر زمن الفتنة وتوفي عام 427هـ/1035م<sup>(2)</sup>.

وتعرض بعض العلماء و الأدباء إلى السجن، أمثال أبا محمد عبدالله بن سعيد بن خيرون حيث مات في السجن عام 403هـ/1010م سلم إلى أهله بقيوده<sup>(3)</sup>، ويحيى بن وافد اللخمي الذي حكم عليه الخليفة المستعين بالإعدام لولا شفاعته أقرانه الفقهاء ، ومات في سجنه عام 404هـ/1013م<sup>(4)</sup>.

وقد قل إنتاج الشعر وضاعت أغراضه واختلطت اتجاهاته زمن الفتنة القرطبية<sup>(5)</sup>، وساءت أحوال الشعراء ولا أبلغ من وصف ابن حبان لحالم حين جاء الخليفة المستعين إذ يقول: "واغتنته شعراء العامرية والدولة الأموية، وقد نسجت على أفواههم ومحاريم العناكب أيام الحرب والفتنة، واشتدت فاقنتهم وجمعت طباعهم، وكانوا كالبزاة الفذة الجياع، انقضت لفرط الضرورة على الجرداة، فلم يبيل صداهم ولا سد خلتهم لانشغاله بشأنه واشتداد حاجة سلطانهم"<sup>(6)</sup>.

لم يقتصر تأثير الحرب الأهلية في قرطبة في أحوال العلماء والأدباء فحسب ، بل شمل مكاتبهم وحلقات دروسهم، فباع واضح العامي حاجب الخليفة هشام المؤيد أكثر الكتب الموجودة بمكتبة القصر الخلافي بأوكس الأثمان<sup>(7)</sup>، وذلك حين عجزت الدولة عن إيجاد الأموال اللازمة لفك حصار البربر على قرطبة.

كما تعرضت بعض المكتبات الخاصة للنهب والسلب على أيدي البربر ،فقد انتهبوا ثمانية أحمال من الكتب كان صاحبها أبو حفص عمر بن عبيد الله بن يوسف ، قد أعدها ليخرجها من بيته بالربض الغربي<sup>8</sup>، وعندما زاد الغلاء باع أهل قرطبة كتب القاضي عبد الرحمن بن فطيس الموجودة في مكتبته بمسجده بمبلغ وقدره أربعون ألف دينار وأقاموا بها عام كامل<sup>(9)</sup>.

وقد تأثرت حلقات الدرس هي الأخرى من جراء الحرب الأهلية ، ففي معركة قنتيش عام 400 هـ / 1009م ، قتل ما يزيد على ستين مؤدباً ، مما يدل على كثرة انتشار مراكز التعليم في قرطبة في هذه الفترة، فأغلقت مدارسهم ، وانفضت حلقات الدرس بها تلاميذهم<sup>(10)</sup>.

1 ابن بشكوال، المصدر السابق ، ق1، ص27، 177، 178.

2 ابن بشكوال، المصدر السابق، ق2، ص353، 354، 369.

3 ابن بشكوال، المصدر السابق، ق1، ص258، 259.

4 القاضي عياض، المصدر السابق، ج2، ص668-670.

5 هيكل (أحمد)، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، 1979، ص364.

6 ابن الخطيب، كتاب أعمال الإعلام في من بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تج: بروفنسال دار المكشوف، بيروت، 1956، ص122.

7 ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، مج4، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ص175-176.

8 ابن بشكوال ، مصدر سابق، ق2، ص400.

9 ابن بشكوان ، المصدر السابق ، ق1 ، ص310.

10 ابن بسام ، مصدر سابق ، ق1 ، مج1 ، ص44.

#### الخاتمة

وفي ضوء ما سبق عرضه توصل البحث إلى عدد من النتائج، منها:-

- أن النشاط الاقتصادي تأثر بشكل كبير من جراء الحروب والفتن فتحطمت موارد الدخل ، وبارت الزراعة ، وانهارت الصناعة ، وركدت التجارة .
- أثرت الفتن على البنية السكنية بسبب هلاك الكثير من السكان أو لهجرتهم سواء كانت داخلية أو خارجية ، كما أثرت الحروب على الصلوات المفروضة ومراسم الدفن ، وأدت في كثير من الأحيان إلى حالات سيي .
- الحياة الثقافية هي الأخرى لم تسلم من الفتن حيث أجبرت العلماء والفقهاء على الارتحال من مدينة إلى الأخرى وفي أحياناً أخرى تعرضوا إلى السجن أو القتل كما تعرضت مكتباتهم للنهب والسلب والإحراق .

#### المصادر والمراجع

##### أولاً: المصادر

- ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أحمد بن أبي القاسم ، (ت 668هـ/1269م) ك عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ج3، بيروت ، دار الثقافة، د.ت.
- ابن الأبار، محمد بن عبد الله ، (ت658هـ/1259م): التكملة لكتاب الصلة، ج2، تح: عبد السلام الهراس ، بيروت، دار الفكر للطباعة، 1995م.
- ابن الأثير، أبي الحسن علي، (ت630هـ/1232م): الكامل في التاريخ معج 6 ط6، بيروت، 1995 م.
- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، (ت548هـ/1153م): نزهة المشتاق في اختراق الافاق، بيروت، دار عالم الكتاب، 1989م.
- ابن بسام، ابو الحسن علي بن بسام الشنتري، (ت542هـ/1147م): الدخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس ، ق1، مج1، تونس ، ليبيا، الدار العربية للكتاب، 1979م.
- ابن بشكوال، أبو القاسم خل ، (ت578هـ/1182م): الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائها ومحدثيهم وفقهائهم، ج1،2، القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966م.
- البكري، أبو عبد الله (ت 487هـ/1094م): جغرافية الأندلس وأوروبا ، من كتاب المسالك و الممالك، تح: عبد الرحمن الحججي، بيروت، دار الرشد ، ط1، 1968م.
- ابن حزم، ابو محمد علي بن أحمد ، (ت456هـ/1063م): الأحكام في أصول الأحكام، تقديم : إحسان عباس ، مج1، بيروت، دار الأفاق، 1980م.

- رسائل ابن حزم الأندلسي، مج3، تح: إحسان عباس ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1981م.
- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف، (ت469هـ/1076م):المقتبس في تاريخ الأندلس ، تح ، إسماعيل العربي ، المغرب، دار الأفاق الجديدة، 1990م.
- \_\_\_\_\_ المقتبس ، ج5، نشره: ب شالميتا ، ف.كورينطي، م.صبح، مدريد، المعهد الإسباني العربي للثقافة ، 1979م.
- \_\_\_\_\_ السفر الثاني من كتاب المقتبس ،تح: محمود مكّي، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 2003م.
- ابن الخطيب، لسان الدين محمد ،(ت776هـ/1374م) : أعمال الإعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام او تاريخ اسبانيا الإسلامية، تح: ليفي بروفنسال ، بيروت ، دار المكشوف، 1965م.
- \_\_\_\_\_ الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عنان، ج1، 3، 4، القاهرة ، مكتبة الخانجي، 1977م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808 هـ/1405م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، مج4، بيروت، دار الكتب العلمية، 1992م.
- ابن سعيد ، ابن سعيد المغربي (ت673هـ/1274م): المغرب في حلالا المغرب، تح: شوقي ضيف، ج1، القاهرة، دار المعارف، 1978م.
- ابن سهل، عيسى بن سهل(ت486هـ/1093م): الإعلام بنوازل الأحكام ،المعروف بالأحكام الكبرى ، تح : نورة التويجري(د.م)1995م.
- ابن عذارى ، ابو العباس أحمد بن محمد (كان حيا عام712/1312م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمرغب ، تح: ج-س- كولان ليفي بروفنسال، ج2-3، ط3 ، بيروت، دار الثقافة، 1983م.
- ابن غالب ، المحافظ محمد بن أيوب (توفي في القرن السادس الهجري): نص أندلسي جديد من كتاب فرحة الاندلس ، تح: لطفي عبد البديع ، القاهرة ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج1 ، مطبعة، 1955م.
- ابن الفرضي، أبي الوليد عبد الله ،(ت403هـ/1012م): تاريخ علماء الأندلس ، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ق1-2، 1966م.
- صاعد الأندلسي، أبو القاسم أحمد بن عبد الرحمن(ت462هـ/1079م):طبقات الأمم، تح: حسين مؤنس، القاهرة ، دار المعارف، 1998م.
- العذري، احمد بن أنس المعروف بابن الدلائلي.(ت478هـ/1085م):ترصيع الأخبار ، وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ، تح: عبد العزيز الاهواني ، مدريد، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، 1965م.

- القاضي عياض ، أبو الفضل عياض بن موسى ،(ت544هـ/1149م):ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة الغمام مالك ،ج2، تح : أحمد بكير محمود ،بيروت ، دار مكتبة الحياة ،د.ت.
- القفطي، علي بن يوسف ،(ت646هـ/1248م): إنباه الرواة على أنباه النجاة ، ج3 ، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، بيروت، دار الفكر العربي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، 1986م.
- مجهول ، مؤلف: ذكر بلاد الأندلس ،تح: لويس مولينا، مدريد ، المجلس الاعلى للأبحاث العلمية، 1983م.
- الونشريسي، أبي العباس أحمد بن يحيى،(ت914هـ/1508م):المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، ج2، خرجده جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ،بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1981م.

#### ثانياً: - المراجع:

- 1- البشري، سعد صالح : الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس 316-422هـ/928-1030، الرياض ، جامع أم القرى، 1997.
- 2- خلاف ، محمد عبد الوهاب : قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي ، الخامس الهجري ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، تونس ، الدار التونسية للنشر ، 1984.
- 3- عباس، إحسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسي، القاهرة ، دار الافاق العربية ، د.ت .
- 4- مطلق، ألبير: الحركة اللغوية في الأندلس من الفتح العربي حتي نهاية عصر ملوك الطوائف بيروت ، المكتبة العصرية ، 1967م.
- 5- هيكلم، أحمد: الادب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة ، القاهرة ، دار المعارف، 1979.

#### ثالثاً: الدوريات:-

- 1- بوتشين، إبراهيم القادري : أزمة التجارة في الأندلس في أواخر عصر الأمارة ، مجلة المناهل ع25-26، السنة السابعة 1999م.
- 2- العبادي ، أحمد : بعض مظاهر العلاقات التاريخية بين مصر والأندلس ، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ،مج23،مدريد 1985، 1986.
- 3- الدباغ، عبدالوهاب الدباغ : أثر الفتنة في الحركة العلمية في قرطبة 399-422هـ/1009-1031م، مجلة أفق الثقافة والثرات ع25-26 السنة السابعة 1999م.